# الفكر العمراني عند أبن الشعّار الموصلي من خلال كتابه (قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان)

أ.م.د. عبد الجبار حامد احمد
*كلية الآداب – جامعة الموصل*

تاريخ تسليم البحث : ٢٠١٠/١٢/١٢ ؛ تاريخ قبول النشر : ٢٠١١/٣/٢

## ملخص البحث :

صنف ابن العشار الموصلي (ت ٦٥٤هـ/١٢٥٦م) كتابه (قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان)، وقد سلط فيه الضوء على الجوانب العمرانية والحضارية من خلال الشخصيات التي ترجم لها، فتحدث عن العمران الثقافي والعلمي من خلال ترجمته للعلماء ومنجزاتهم، وعن العمران الاقتصادي من خلال ترجمته للتجار وأصحاب المهن، وعمران المنشآت المعمارية من خلال ذكره للخطط في المدن التي مرت بكتابه، وكذلك تناول العمران السياسي من خلال حديثه عن الخلفاء والوزراء والأمراء الذين ترجم لهم، كما تناول العمران الديني من خلال حديثه عن المذاهب الفقهية لمن ترجم لهم.

---

# Architectural Thinking of Ibn Al-Sha'aar Al-Mosuli

**Asst. Prof. Dr. Abduljabbar H. Ahmed**
***College of Arts/University of Mosul***

## Abstract:

Ibn Al-Sha'aar Al-Mosuli (died 654 A.H.) wrote a book known as "Qalaa'id Al-Juman fi Faraa'id Shu'araa' hatha Az-Zaman" which means "exquisite poems in this period". In this book, he shed light on architectural and cultural aspects throughout the biographies for whom he wrote. He talked about the cultural and scientific progress through the biography of the scientists. Similarly, he talked about the economic progress through what he wrote about trader and profession men. Architectural progress also has its portion in his book. Likewise, he mentioned the political developments as he talked about caliphs, ministers, and princes mentioning their biographies. Finally, he tackled the religious aspects mentioning the juristic schools and their scholars for whom he wrote biographies.

## تمهيد :

صنف المسلمون في التاريخ والجغرافية والاجتماع والفلسفة وغيرها ، ومنهم من تخصص في علم واحد ومنهم من كتب في أكثر من علم ، وقد تخلل كتاباتهم مواضيع شتى في كل فن من فنون المعرفة ، ومن خلال تلك المواضيع يمكن استنباط الفكر العمراني لدى كل منهم ، ولما كان العمران هو كل جهد بشري يؤدي إلى إنجاز حضاري، فإن كل عالم من علماء المسلمين ركز فكره العمراني في جانب من جوانب المعرفة التي تعد أساساً في عمران الحضارة الإسلامية ، ويشمل الفكر العمراني عند الكتاب المسلمين عمران الاقتصاد وعمران السياسة وعمران الدين وعمران خطط المدينة ومنشآتها . فمثلاً تحدث ابن حوقل (ق٤هـ/١٠م) من خلال كتابه (صورة الأرض) عن عمران الاقتصاد الى جانب فكره الجغرافي ، كما تحدث ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) عن عمران المدينة الإسلامية من خلال وصفه لكل مدينة وردت في كتابه (معجم البلدان) وميزاتها وما اشتهرت به ، وأبرز علمائها ، كما تحدث ابن الأثير (ت٦٣٠هـ /١٢٣٢) في كتابه (الباهر في تاريخ الدولة الاتابكية في الموصل) عن الجوانب السياسية والاقتصادية والخطط في الموصل والمدن التي وردت في كتابه ، وهذا يمثل جانب من الفكر العمراني لديه . وتحدث ابن ابي اصيبعة (ت٦٦٨هـ/١٢٦٩م) في كتابه (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) عن الأطباء ولاسيما المسلمون منهم ومنجزاتهم في المعرفة الطبية ، وهذا يمثل جانب من الفكر العمراني الذي طرحه المؤلف ، وهكذا بالنسبة لجميع المصنفات الأخرى ، فكل كاتب لديه فكر عمراني طرحه في مصنفه .

وقد اعتمد الباحث على نظرية أبن خلدون في علم العمران[١] وحاول تطبيقها على ما جاء في كتاب (قلائد الجمان) لأبن الشعار الموصلي (ت ٦٥٤هـ/١٢٥٦م) لبيان المحاور التي وردت فيه والتي تعكس العمران والحضارة في المدينة الإسلامية.

---

(١) تحدث أبن خلدون عن طبائع العمران، والظواهر الاجتماعية وكيفية حدوثها، لأن مهمة علم العمران هو البحث في تلك الظواهر التي تحصل نتيجة الاجتماع البشري، فيقول: ((كانت حقيقة التاريخ أنه خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال ... وما ينشأ عن ذلك من المُلك والدول ومراتبها وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع وسائر ما يحدث من ذلك العمران)). مقدمة ابن خلدون، مكتبة المثنى، (بغداد: د/ت)، ص ٣٥. لذلك فإن أبن خلدون يستقرئ ظواهر العمران الواحدة بعد الأخرى حسب أسبقيتها الزمنية، فبدأ بالعمران البدوي وعوارضه الذاتية كالنسب والعصبية لينتقل إلى العمران الحضري وما يختص به من بناء المدن والأمصار وما ينشأ فيه من الاحتكاك والتبادل للخبرات، الشيء الذي نتج عنه ظواهر تاريخية خاصة بهذا النوع من العمران كالصناعات والمهن والعلم والتعليم وكل نشاط فكري آخر يمثل تاريخ الحضارة. ينظر: الجابري، محمد عابد، العصبية والدولة ( فكر ابن خلدون)، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد: د/ت)، ص ١٦١.

يتكون الكتاب من عشرة مجلدات ، وصلنا منها ثمانية مجلدات ناقص الثاني والثامن ، وقد حققه كامل سلمان الجبوري وطبع في بيروت سنة (٢٠٠٥م) ، وجاء المطبوع في تسع مجلدات ، وكان المجلد الأخير فهارس للكتاب .

والمتفحص لهذا الكتاب يلحظ انه تناول فيه تراجم شعراء القرن السابع للهجرة ، وعند دراسة كل ترجمة من تراجمه التي وردت في هذا الكتاب نجد انه تناول في الترجمة الواحدة النواحي السياسية والدينية والاقتصادية كما سيرد شرحه . وهو بذلك قد تنوع فكره العمراني في جوانب عدة تمثل بمجموعها النهضة العمرانية الواسعة في القرن السابع للهجرة والتي سادت في المدن العربية الإسلامية التي انتمى اليها أولئك الشعراء الذين ترجم لهم ابن الشعّار، ويأتي في مقدمة تلك المدن ، مدينة الموصل ، فبحكم انتمائه الى هذه المدينة حاول ان يوثق عمرانها في مختلف الجوانب من خلال تراجمه لأدبائها وأعلامها .

ولاشك انه كان يتوخى الدقة في توثيقه للجوانب العمرانية لكونه اعتمد في ذلك لقاءاته الشخصية لبعض من ترجم لهم ، ولذلك أورد مصطلحات كقوله :

(أخبرني) [١] او (حدثني) [٢] او (لقيته غير مرة) [٣] وغير ذلك . فضلاً عن مشاهداته ومعايناته المباشرة ، فكانت الكثير من رواياته قد جاءت نتيجة الوقوف على الأحداث بشكل مباشر ، لذلك جاء وصفه دقيقاً لكثير من المنشآت العمرانية كالجامع والمدرسة والرباط ودار الحديث وغيرها . وهو لا يغفل اعتماد الكتب المدونة سواء التي سبقت عصره او التي عاصرته من اجل زيادة توثيق الكثير من المعلومات مثل كتاب العماد الكاتب الأصفهاني (ت٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م) الموسوم بـ (خريدة القصر وجريدة العصر)[٤] وكتاب (تاريخ أربل) لأبن المستوفي (ت ٦٣٧هـ/١٢٣٩م) الذي كرر استخدامه[٥] ، وكتاب ابن الدبيثي (ت٦٣٧هـ/١٢٣٩م) الموسوم بـ (ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد)[٦] وكتاب (إنباه الرواة على أنباه النحاة) للقفطي (ت

---

(١) ابن الشعّار ، قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، (بيروت: ٢٠٠٥)، م١ ج١ / ٣٤٠ و م٦ ج٧ / ١٠٨ ، ٢٠١ ، ٢٧٢ .

(٢) نفسه ، م٢ج٣ / ١٠١ .

(٣) نفسه ، م١ج٣٥٧/١ .

(٤) نفسه ، م١ ج٢٤٧/١ ، ١٥٥ و م ٢ج٣ /٣٥٤ .

(٥) نفسه ، م ١ج٩٨/١ ، ٢١٢ ، ٢١٩ ، ٤٤٦ ، م ٣ج١٤٩/٤ و م ٤ج٤٤/٥ و م ٥ج٧٧/٦ ، ٢٦٤-٢٦٧ و م٦ج٢٤٦/٧ ، ٢٥٦ ، ٣١٣ ، ٣٠٨ ، ٣٠٤ ، ٢٦٢ و م ٧ج١٤٢/٩-١٤٤ .

(٦) نفسه ، م ١ج١٠٧/١ ، ١٩٧-١٩٨ ، م ٣ج٢٥٣/٤-٢٥٧ ، ٣٦٨-٣٦٩ و م ٥ج٩٧/٦ ، ٢٩٠ ، ٣٢٥ و م ٧ج٢١١/٩ .

٦٤٦هـ/١٢٤٨م)[١] وكتاب ابن العديم (ت٦٦٠هـ/١٢٦١م) الموسوم بـ (بغية الطلب في تاريخ حلب)[٢] وهكذا .

وتأسيساً على ما ورد آنفاً فقد جاء كتاب (قلائد الجمان) لابن الشعّار الموصلي غنياً بفكره العمراني الذي بمكن استنباط عدة محاور منه وهي على النحو التالي :

الفكر العمراني السياسي / الفكر العمراني الديني / الفكر العمراني العلمي والأدبي / الفكر العمراني الاقتصادي / عمران المنشآت . وقد اقتبس الباحث أمثلة من الشخصيات التي وردت عند ابن الشعار لتوثيق تلك المحاور.

وهذه المحاور بمجملها تمثل الفكر العمراني عند ابن الشعّار . وقبل البدء بدراسة فكره العمراني لابد من إعطاء نبذة مختصرة عنه .

هو كمال الدين ابو البركات بن ابي بكر بن حمدان بن احمد بن علوان الموصلي (ت ٦٥٤هـ/١٢٥٦م) العالم الأديب المؤرخ ، وكان شعّارا يعمل آلة الجمال ، وقد وصفه ابن المستوفي بأنه شاب كان مغرى بجمع الأشعار ويحفظ التاريخ والحكايات وأسماء الشعراء ومواليدهم وأنسابهم ، وهو ليس بشاعر[٣] ، وقد تتلمذ على عدد من شيوخ عصره أمثال سليمان بن المظفر بن موسى بن منصور ابو الربيع الاربلي المولود سنة (٥٦٦هـ/١١٧٠م) حيث كان ابن الشعّار يقول عنه بأنه : " هو أستاذي الذي علمني الخط وله عليّ حق الوالد على ولده " [٤] [٤] .

ومن شيوخه ايضا مكي بن ريان النحوي (ت٦٠٣هـ/١٢٠٦م) الذي كان يسميه (شيخنا)[٥] (شيخنا)[٥] ، وكذلك عبد الرحمن بن عبد الله بن رشيد الموصلي المعروف بالصيقل ، الذي كتاب كتاب ابن الشعّار عنه كثيراً من الروايات[٦] وغيرهم كثير .

وكان يرحل الى الأقطار لجمع المعلومات ولقاء من ترجم لهم ، فرحل الى تكريت وبغداد واربل وحلب ودمشق والرقة وحرّان وواسط ومصر[٧] ، وكان فقيراً ، لذلك قال عن نفسه : " وقد

---

(١) نفسه ، م١ ج١، ٢٢٣-٢٢٤ ، ٢٣٥-٢٣٨ و م ٨ ج١٠/٢٠٩ .

(٢) نفسه ، م١ ج١ / ٢٣٨-٢٣٩ و م٤ج٥ / ٣٤٣-٣٤٥ .

(٣) تاريخ اربل، تحقيق: سامي ابن السيد خماس الصقار، المركز العربي للطباعة والنشر، (بيروت: ١٩٨٠)، ق١ / ٣٨٤ .

(٤) قلائد الجمان ، م٢ج٣ /٧٩ .

(٥) نفسه ، م٣ج٤/٢٧١ و م ٨ ج١٠/١٠٥ .

(٦) نفسه ، م٢ج٣/٣١١-٣١٢ وللتفاصيل عن حياته ينظر : السبعاوي ، حنان عبد الخالق ، المنهج التاريخي التاريخي عند ابن الشعّار الموصلي (ت٦٥٤هـ) في كتابه (قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان)، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، ( جامعة الموصل : ٢٠١٠ ) ، ص ٢٤ وما بعدها .

(٧) السبعاوي ، ص ٣٢-٥٠ .

أقدمني الفقر بحقه وصيرني أسيراً في قبضته ورقّه ، والدهر يجرّ عني كاسات حتوفه ، ويصيبني بسهام صروفه " [١] . وبعد حياته الطويلة والمليئة بالعلم والمعرفة حط الرحال في حلب ، حيث توفي هناك .

وأخيراً أرجو ان أكون قد وفقت في معالجة ما طرحه ابن الشعّار من أفكار تعكس تطور الحضارة الإسلامية في حقبة من حقبها المهمة وهو القرن السابع للهجرة .

## الفكر العمراني السياسي

لما كانت السياسة تعني إدارة البلاد وخدمة الشعوب فهي تسهم في عمران الحضارة نظراً لما تقدمه من خدمات على الصعد كافة من اجل مصلحة البلد والشعب ، لذلك فإن ابن الشعّار تطرق الى السياسيين والحكام من خلفاء ووزراء وولاة ، محاولاً تسليط الضوء على تلك الشخصيات ومكانتها وما قدمته من اجل تطور البلاد ، لذلك يمكن اعتبار ذلك جزء من الفكر العمراني الذي دار في مخيلة ابن الشعّار ، لاسيما اذا علمنا انه عاصر بعض الخلفاء العباسيين أمثال الخليفة الناصر لدين الله (٥٧٥-٦٢٢هـ/١١٧٩-١٢٢٥م) الذي حكم بحدود سبع وأربعين سنة ، وكذلك عاصر الدولة الاتابكية في الموصل ذات الشأن في الإصلاح والاعمار وغيرهما من حكام الدول[٢] .

فمثلاً ترجم للملك الظاهر غازي بن يوسف بن أيوب (ت٦١٣هـ/١٢١٦م) صاحب حلب[٣] ، الذي وصفه بأنه كان من الملوك ذوي الهمة العالية عارفاً بتدبير الملك والدولة ذي سياسة حكيمة ذكية في الرعية عادلاً منصفاً ، كثير الخيرات والإحسان محباً للعلماء والفضلاء ، فضلاً عن كونه شديداً وحازماً في حكمه إلا انه بعيد عن الظلم[٤] .

كما ترجم لأحد أولاد صلاح الدين الأيوبي وهو علي بن يوسف بن أيوب بن شاذي بن مروان بن يعقوب ، الملك الأفضل ، ابو الحسن (ت٦٢٢هـ/١٢٢٥م) الذي حكم مصر والشام بعد أبيه ، فقد وصفه ابن الشعّار بأنه كان يقرب العلماء ويكرمهم ، ويحترم رجال الدين ويتقرب منهم ، فضلاً عن قوله الشعر[٥] .

كذلك ترجم للملك الكامل الأيوبي محمد بن محمد بن أيوب بن الملك العادل (ت٦٣٥هـ/١٢٣٧م) الذي حكم مصر ودمشق واليمن والجزيرة الفراتية ، فقد أثنى عليه واصفاً

---

(١) قلائد الجمان ، م١ج٦٤/١ .
(٢) السبعاوي ، ص ٧ .
(٣) قلائد الجمان ، م٤ج٢٩٢/٥-٢٩٣ .
(٤) نفسه ، م٤ج٢٩٣/٥ .
(٥) نفسه ، م٣ج٣٣٨/٤ .

إياه بأنه كان محافظاً على الشريعة الإسلامية ، وأحيا سنة النبي محمد (ﷺ) ، وانشأ داراً للحديث النبوي بالقاهرة ، وقرب العلماء ، وأغدق عليهم الأموال ، وكان كثير المطالعة في كتب الحديث ، كما كان مواظباً على الجهاد وحقق النصر على الصليبيين واسترجع ثغر دمياط ، لذلك أثنى عليه الشعراء بالمدح وطارت شهرته في البلاد[1] ، كما ترجم للوزير علي بن شماس بن هبة الله (ت٦٢٢هـ/١٢٢٥م) الذي كان كاتباً في ديوان الإنشاء للملك مظفر الدين كوكبوري في اربل ، ثم أصبح وزيراً له ، فقد أثنى عليه ابن الشعّار فعدّه من محاسن زمانه عاملاً لطيفاً جليلاً فيه ذكاء ودهاء وخبرة في الأمور السلطانية ، لذا كان ذا رأي ثاقب وحزم شديد ، يقرب العلماء والأدباء والفضلاء ، فضلاً عن كونه أديباً وشاعراً[2] ، وغير ذلك الكثير من رجالات الدولة الذين ترجم لهم وذكر محاسنهم وفضائلهم من اجل خدمة الدولة والناس .

إن ثناءه على تلك الشخصيات يعني انها أسهمت في اعمار بلادها أثناء حكمها لها ، فكانوا خير حكام لبلادهم ، لذلك فإن الإشادة بهم تعني ان ابن الشعّار يعبر عن فكره السياسي العمراني الذي أورده في كتابه . ومن جهة أخرى فإن الأحداث السياسية التي أوردها ابن الشعّار في سياق تراجمه ، حاول من خلالها توثيق تلك الأحداث مبيناً ما تعرضت له المدن الإسلامية ، وموقف حكامها من تلك الأحداث ومعالجتهم لها ، ومن الأمثلة على ذلك :

ما أورده من خلال ترجمته لأحمد بن المبارك بن نوفل النصيبي (ت٦٤٤هـ/١٢٦٥م) حيث ذكر انه في سنة (٦٣٣هـ/١٢٣٥م) حاول التتار غزو الموصل ، فأمر بدر الدين لؤلؤ حاكمها آنذاك بتعطيل المدارس ، وإبعاد الفقهاء والمدرسين عنها حفاظاً عليهم ، وأمر ان لا يقيم فيها غير الفراش والبواب والإمام والمؤذن ، ثم وضع فيها الجند والأمراء من اجل حمايتها ومقاومة العدو ، وقد وثق ابن الشعّار ذلك بقصيدة نقلها عن احد الشعراء يندب فيها الوضع ويصور تلك الحادثة الشنيعة ، وبعد زوال الغمّة أمر بدر الدين لؤلؤ برد الفقهاء الى المدارس وإعادة جراياتهم (المواد العينية)وذلك سنة (٦٣٤هـ/١٢٣٦م) وقد وثق ذلك ايضا بقصيدة[3] ، كذلك وثق فتح بين المقدس من خلال ترجمته لعبد المنعم بن عمر بن عبد الله ، ابو الفضل الغساني الجلياني الحكيم والأديب ، حيث ينقل عنه قصيدة يمدح بها الملك صلاح الدين الأيوبي ويهنئه بفتح بيت المقدس في ليلة السبت السابع والعشرين من رجب سنة (٥٨٣هـ/١١٨٧م) [4] ،

(١) قلائد الجمان ، م٦ج٧ / ٣١٠-٣١٢ .
(٢) نفسه ، م٣ج٤/٢٨٨-٢٨٩ .
(٣) قلائد الجمان ، م١ج١/٢٦٦-٢٦٧ .
(٤) نفسه ، م٣ج٤/١١٣ ، ١١٤ .

وهو بذلك يحاول ان يطرح فكره العمراني من خلال توثيق تلك الأحداث السياسية ودور الحكام في معالجتها من اجل مصلحة البلاد الإسلامية .

## الفكر العمراني الديني

لما كان الدين الإسلامي أساس ثقافة الشعوب الإسلامية ، وهو سبب تطورهم وحضارتهم ، لذلك فإن ابن الشعّار قد تنبه الى مسألة الدين ، فعندما ترجم لأعلامه ذكر دياناتهم وتطرق الى مذاهبهم الفقهية ، لأن ذلك يعد جزءاً من عمران المجتمع وعمران البلاد لكون التمسك بالدين الإسلامي وإتباع مذاهبه والعمل بوصاياه يؤدي الى بناء المجتمع وتماسكه ووحدته وتطوره .

فعندما يترجم لمحمد بن عمر بن حفاظ بن خليفة ، أبي عبد الله السعدي (ت٦٤٢هـ/١٢٤٤م) يذكر انه كان فقيهاً حنفياً ، وكان يدرّس المذهب الحنفي بحلب(١) . كما يصف محمد بن عبد الله بن محمد بن ابي الفضل السلمي (ت٦٥٥هـ/١٢٥٧م) بأنه فقيهاً مالكياً(٢) وان له تفسيراً للقرآن الكريم لم يصنف احد من العلماء مثله(٣) ، ووصف إسماعيل بن علي بن الحسين ، ابو عبد الله الشيباني (ت٦٢٠هـ/١٢٢٣م) بأنه فقيهٌ حنبلي(٤) ، وكان عالماً في علم الخلاف والأصول والنظر والجدل ، وبرع فيهم ، وصنف كتباً لذلك(٥) ، وغيرهم كثير .

ولما كانت المذاهب الفقهية وسيلة لمعالجة القضايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في المجتمع ، وبواسطتها يستطيع الإنسان ان يؤدي واجباته الدينية على الوجه الأكمل ، فمعنى ذلك بناء المجتمع بناءً جيداً يؤدي الى عمرانه .

## الفكر العمراني العلمي والثقافي

شمل الفكر العمراني عند ابن الشعّار الجوانب العلمية والثقافية للذين ترجم لهم ، ولما كانت المعرفة العلمية والثقافية تعد أساساً مهماً للحضارة الإسلامية وإحدى دعائمها القوية ، لذلك فإن ابن الشعّار أكد على الجانب العلمي كثيراً لأنه يرى ان عمران البلد يأتي من خلال ازدهار العلم والمعرفة في ذلك البلد ، لذلك اظهر الجوانب العلمية لكل ترجمة وردت في كتابه حيث تناول نشأة المترجم لهم العلمية بدءاً منذ الصغر ولاسيما قراءة وحفظ القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف فضلاً عن الحساب والتاريخ وتعليم الخط(٦) ، فمثلاً عندما يتحدث عن احمد بن

---

(١) نفسه ، م٦ج٧/٢٧٢ .

(٢) قلائد الجمان ، م٥ج٦/٣١٥ .

(٣) نفسه ، م٥ج٦/٣١٦ .

(٤) نفسه ، م١ج١/٤١١ .

(٥) نفسه ، م١ج١/٤١٢ .

(٦) عبد الخالق ، حنان ، المنهج التاريخي ، ص٨٣ .

الحسين بن احمد بن ابي المعالي بن منصور المعروف بابن الخباز (ت٦٣٩هـ/١٢٤١م) النحوي الضرير اللغوي ، يذكر انه اقبل على طلب العلم منذ نشأته فحفظ القرآن الكريم ، وقرأ وحفظ التنبيه لأبي اسحق الشيرازي ثم دَرَسَ الأدب والنحو واللغة والعروض والقوافي على شيوخ عصره في الموصل[١] ، وكذلك ما ذكره عن الشيخ احمد بن إبراهيم بن ابي بكر ، ابو العباس بن ابي عبد الله الاربلي (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م) بأنه ترك اربل سنة (٦٢٦هـ) الى بلاد الشام ، وقرأ في حلب فقه الإمام الشافعي على ابي عبد الله محمد بن ابي بكر بن الخباز الموصلي ، كما قرأ النحو على ابي البقاء يعيش بن علي النحوي ، كما سمع مسند البخاري على ابي جعفر محمد بن هبة بن المكرم الصوفي[٢] ، وكذلك الحال مع عبد الله بن احمد بن علي بن عبد الله ، القاضي ابو محمد بن ابي العباس البغدادي (ت٦٢٠هـ/١٢٢٣م) حيث قال عنه بأن والده قد بالغ في تعليمه من خلال الذهاب به الى مجالس العلم ، حيث حفظ القرآن الكريم وتعلم الخط الجيد وقرأ الأحاديث النبوية وتعلم النحو ، وكان من شيوخه ابو محمد عبد الله بن احمد بن الخشاب النحوي ، وابو محمد إسماعيل بن موهوب بن الخضر الجواليقي ، وابو الفضل احمد بن شافع[٣] وغيرهم ، وهكذا مع جميع من ترجم لهم ابن الشعّار ، حيث كان اهتمامه شديداً بتدوين النشأة العلمية لمن ترجم له ، وكذلك تدوين أسماء شيوخهم لكي يبين للقارئ ان هؤلاء العلماء يمتلكون خلفية علمية رصينة أسهمت في تطور الحضارة الإسلامية .

كما تناول الرحلات التي قام بها هؤلاء العلماء من اجل إكمال علومهم وزيادة معرفتهم العلمية ، فضلاً عن التلاقح الفكري الذي يحصل نتيجة لقاءاتهم مع علماء المدن الأخرى وحصول العلاقات العلمية ، لذلك فإن الرحلة عامل مهم في زيادة المعرفة العلمية ولقاء الشيوخ في مختلف الأقاليم الإسلامية مما يؤدي الى تراكم العلوم والمعارف ، وهذا يعد جزء من الفكر العمراني العلمي عند ابن الشعّار .

فمثلاً عندما يتكلم عن عبد الرحمن بن وثاب بن نصر الله ، ابو القاسم البزاعي ، الذي ولد ببزاعا (قرية قريبة من حلب) سنة (٥٨٦هـ/١١٩٠م) يذكر انه رحل لسماع الحديث في حلب ودمشق وبيت المقدس والموصل وحرّان ومكة والمدينة وبغداد[٤] .

وعندما يتكلم عن إسماعيل بن موسى بن منصور ، ابو المجد البوماري (بومارية من قرى الموصل الغربية) ، كان حياً سنة (٦٢٠هـ/١٢٢٣م) ، يذكر رحلته الى بغداد لطلب الحديث

---

(١) قلائد الجمان ، م١ج١/٢٥٣ .

(٢) نفسه ، م١ج١/٢٤٥ ، ٢٤٦ .

(٣) قلائد الجمان ، م٢ج٣/٢٠١ .

(٤) نفسه ، م٢ج٣/٣٣٧ .

وقراءة القرآن المجيد ، ومنها رحل الى عبادان لطلب العلم ايضا ثم عاد الى الموصل[١] وغير ذلك كثير .

وفي معرض حديثه عن العلم والمعرفة لم ينسَ ابن الشعّار الإجازات العلمية التي كان منحها الشيوخ لطلابهم ، والتي كان لها شأن كبير في الفكر العمراني العلمي والثقافي ، لأن الإجازة تعد اعترافاً من الشيخ بان طالبه قد اجتاز العلم الذي دَرَسَه ، كما انها تعد وسيلة يحرص عليها الشيخ لضمان انتشار علمه انتشاراً صحيحاً سليماً خالياً من التحريف ، لذلك أكد على هذا الجانب ، فعندما يترجم للشيوخ والعلماء في كتابه (قلائد الجمان) يحرص على ذكر الإجازات العلمية التي حصلوا عليها من شيوخهم ، فمثلاً عندما يتكلم عن إبراهيم بن عيسى بن درباس المصري ، ولد سنة (٥٧٢هـ/١١٧٦م) يقول إنه بعد ان رحل الى البلاد لطلب الحديث حصل على إجازة علمية من ابي طاهر السلفي[٢] ، وكذلك عندما يترجم للمحدث عمر بن ابي بكر بن يحيى البغدادي (ت٦٣٤هـ/١٢٣٦م) يقول : انه حصل على إجازة علمية من ابي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي ومن غيره . ويقول عن إبراهيم بن نصر بن عيسى الموصلي ، ابو اسحق بن ابي الفتح العبادي ، كان حياً سنة (٦٣٠هـ/١٢٣٢م) ان له إجازات علمية من عدة مشائخ[٣] ، وفي أثناء حديثه عن محمد بن يوسف بن الخضر بن عبد الله المعروف بابن الأبيض الفقيه الحنفي (ت٦١٤هـ/١٢١٧م) والذي هو احد شيوخ ابن الشعّار الذي دَرَسَ عليهم فقه الإمام ابي حنيفة وشيئاً من الحديث ، يشير ابن الشعّار انه حصل من ابن الأبيض على إجازة علمية في ذلك[٤] وغير ذلك كثير .

ويدخل ضمن الفكر العمراني التعليمي عند ابن الشعّار ، ما ذكره عن العلاقات العلمية بين علماء المدن الإسلامية ، لأن تلك العلاقات تنتج تلاقحاً علمياً ، فضلاً عن التعاون العلمي الذي يحصل بين المدن الإسلامية ، وكذلك نقل المعرفة العلمية من مدينة الى أخرى ، لذلك تعد العلاقات العلمية وجهاً آخر من وجوه الفكر العمراني العلمي عند ابن الشعّار ، فعندما يتحدث عن العلاقة العلمية التي كانت قائمة بين يوسف بن رافع بن تميم الاسدي الموصلي المعروف بابن شداد (ت٦٣٢هـ/١٢٣٤م) وبين محمد بن احمد الموصلي (ت٦٢٢هـ/١٢٢٥م) فينقل عن ابن شداد قوله في محمد بن احمد ما نصه : " كان عين المجلس ووجهه ، وله في صحبتنا هذه المدة ، لم نطلع منه الا على الصحة والخير " [٥] ، وعندما يتكلم عن محمد بن ابي الفرج بن

(١) نفسه ، م١ج١ / ٤٢٨ .

(٢) قلائد الجمان ، م١ج١/٩٠ .

(٣) نفسه ، م١ج١/١٣٢ .

(٤) نفسه ، م٥ج٦/٢٨٢ .

(٥) نفسه ، م٥ج٦/٢٨٢ .

معالي بن بركة ، الفقيه الشافعي ، أبي المعالي الموصلي ، يذكر علاقته العلمية مع علماء عصره ، فينقل عن ابي الحسن القطيعي قوله ، وهو يثني على ابي المعالي : " رفيقنا من أهل القرآن والفقه والأدب ٠٠٠ " [١] وغير ذلك . ولاشك ان منهج ابن الشعّار في توضيح العلاقات بين العلماء من خلال الثناء والمدح الذي يكيله كل منهم للآخر ، دليل على التطور العلمي آنذاك والذي يعكس فكراً عمرانياً يمثل النهضة العلمية .

ومن خصائص الفكر العمراني العلمي عند ابن الشعّار محاولته الجادة في استعراض تخصصات من ترجم لهم ولاشك ان تلك التخصصات تعد ثروة علمية تناقلها العلماء جيلاً عن جيل الى الوقت الحاضر ، فذكر من تخصص في علوم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والفقه واللغة والنحو والأدب بفنّيه المنظوم والمنثور فضلاً عن ذكر من تخصص في العلوم العقلية كالطب والرياضيات ، فابن الشعّار يحاول استقصاء كل التخصصات لكي يوضح ان لعلماء المسلمين اليد الطولى في المعرفة العلمية ، فكان لزاماً عليه ان يوثق تلك العلوم لأنها تسهم بشكل او بآخر في اعمار الحضارة الإسلامية والمجتمع الإسلامي .

ولم يكتف بذلك بل كان يبحث عن مؤلفات من ترجم لهم ، لأن التخصصات الواردة آنفاً يجب ان تدون لكي تكون شاهداً على المعرفة العلمية التي كان يمتلكها علماء المسلمين ، ومن خلال تلك التصانيف التي نجدها مسطرة في ثنايا كتابه وفي مختلف مجالات المعرفة ولأغلب من ترجم لهم ، يثبت ابن الشعّار فكره العمراني في مجال العلم والمعرفة ، لأن تلك التصانيف كانت دليل عمل للأجيال المتتابعة .

## الفكر العمراني الاقتصادي

تنوع الفكر العمراني عند ابن الشعّار ، ففضلاً عما ذكر آنفاً ، فقد تناول في فكره الجوانب الاقتصادية ، لأن عمران المجتمع يرتبط بعمران الاقتصاد والعكس صحيح ، فمتى ما كان الاقتصاد مزدهراً كان المجتمع مرفهاً ، وعندما يتدهور الاقتصاد تضعف إمكانيات المجتمع المادية ، لذلك فإن ابن الشعّار يتحدث من خلال تراجمه عن المهن والوظائف ، وفي الوقت نفسه فإن تلك المهن تعكس الوضع الاجتماعي للمجتمع الإسلامي ، وقد اختلفت الوظائف والمهن من ترجمة لأخرى ، فمن الوظائف التي ذكرها من خلال تراجمه كاتب الإنشاء في ديوان الموصل زمن بدر الدين لؤلؤ والتي تخصص بها إبراهيم بن عبد الكريم الموصلي (ت٦٢٨هـ/١٢٣٠م) [٢] ، او وظيفة القضاء التي تولاها اسعد بن يحيى بن موسى السنجاري

(١) نفسه ، م٥ج٦/٣٣٧ .

(٢) قلائد الجمان ، م١ج١/١١٤ .

(ت٦٢٤هـ/١٢٢٦م) بدنيسر[١] ، او ان تكون وظيفة تعليمية في المدارس ، مثل محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز ، ابو جعفر الرازي لفقيه الحنفي (ت٦١٥هـ/١٢١٨م) الذي نزل الموصل وتولى التدريس فيها[٢] ، وكذلك محمد بن قريش بن مسلم ، ابو عبد الله الاسدي المعروف بالفارقي (ت٦٢٨هـ/١٢٣٠م) حيث اشتهر في الموصل بتدريس القرآن الكريم وعلوم الشريعة[٣] ، او ان تكون الوظيفة الإشراف على الدواوين كما هو الحال عند يعقوب بن إسماعيل النصراني الذي كان مشرفاً على ديوان اربل والذي ورد ذكره أثناء ترجمة اسعد بن إبراهيم بن الحسن بن علي ، أبي المجد النشابي الاربلي المولود باربل سنة (٥٨٢هـ/١١٨٦م) [٤] ، وكما هو الحال عند عبد الله بن المختار، أبي الفتح المعروف بابن قاضي دارا (ت٦٤٤هـ/١٢٣٦م) الذي كان مشرفاً على دواوين قوص (قصبة صعيد مصر) وأسوان (مدينة في صعيد مصر)[٥] او ان يكون خطيباً مثل خطيب الموصل عبد المحسن بن عبد الله ، أبي القاسم بن أبي الفضل الطوسي حيث أثنى عليه ابن الشعّار وعلى أسلافه الذين كانوا خطباء للموصل ايضا[٦].

كما أورد المهن التي مارسها البعض ممن ترجم لهم كالخطاطين والنساخ ، فعندما يترجم لمحمد بن احمد بن أبي عيسى ، أبي عبد الله المايرقي يصفه بأنه كان ناسخاً[٧] ، وكذلك عندما يتحدث عن لؤلؤ بن عبد الله ، أبي سعيد الرومي ، يذكر بأن حرفته كانت صيد السمك[٨] ، وعندما يتحدث عن محمد بن منير بن البطريق ، أبي بكر أبي النجم العجلي ، يذكر له عدة مهن يتدرج فيها ، فمن سائق لصبيان المكتب (مكاتب تعليم الصبيان) ثم انتقل الى مهنة التعليم ، بعدها ترك التعليم ثم أصبح صفاراً ثم بزازاً ، وكل ذلك من اجل البحث عن الرزق[٩] وغير ذلك ذلك . فضلاً عن ذلك فقد ارتبط فكره الاقتصادي بذكر الأسواق كسوق البز بمدينة اربل الذي شاهد فيه صالح بن مكارم ين صالح ، أو محمد الاربلي ، وكان دلالاً في هذا السوق[١٠] ، ثم

---

(١) نفسه ، م١ج١/٣٨٠ .

(٢) نفسه ، م٥ج٦/٩٠ .

(٣) نفسه ، م٥ج٦/٢٠٢ .

(٤) قلائد الجمان ، م١ج١/٣٩٥ .

(٥) نفسه ، م٢ج٣/٢١٢ .

(٦) نفسه ، م٣ج٤/٨٣ وينظر : م٥ج٦/٣٤٦ ، ٣٥٣ و م٨ج١٠/٢١٠ .

(٧) نفسه ، م٥ج٦/٣٣٣ .

(٨) نفسه ، م٥ج٦/٢٤ .

(٩) نفسه ، م٦ج٧/١٥٤ .

(١٠) قلائد الجمان ، م٢ج٣/١٢٣ .

يذكر السوق نفسه عندما يترجم لعبد الرحمن بن عثمان بن أبي الفوارس الاربلي ، ابو زيد (ولد سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م) ، حيث ذكر انه كان يعمل في سوق البز باربل[١] وغير ذلك .

إن ما ورد آنفاً من اهتمام ابن الشعار في الجوانب الاقتصادية من وظائف ومهن وأسواق ، يشير الى فكره الاقتصادي الذي يثبت من خلاله عمران المجتمع المتطور اقتصادياً والذي يقود الى تطور البلد ثم ازدهار الحضارة .

## خطط المدن

ان الفكر العمراني المعماري له أهمية كبيرة عند الكتاب والمؤرخين والجغرافيين ومنهم ابن الشعّار ، لأن خطط المدن واعمارها انعكاس لاستقرارها وتطورها الاجتماعي والاقتصادي والعلمي ، لذلك فقد تناول ابن الشعّار من خلال تراجمه خطط المدن التي ورد ذكرها في تراجمه وعند الحاجة الى ذلك ، مما جعل القارئ ان يعرف خطط المدن في القرن السابع للهجرة – المدة التي عاشها ابن الشعّار– ومقارنتها مع المدة السابقة لذلك القرن او القرون اللاحقة له ، لأن إعمار البلد يتطور بتطور المجتمع وازدهار الاقتصاد وتوفر الأمن والاستقرار السياسي .

فمثلاً يتكلم عن خطط مدينة بغداد في أثناء ترجمته لإسماعيل بن حمزة بن المبارك المعروف بابن الطبال (ت٦٠٧هـ/١٢١٠م) ، فيذكر (باب الازج) وهي إحدى أحياء بغداد ثم يذكر ايضا مقبرة احمد بن حنبل في بغداد ايضا[٢] ، وعندما يترجم لإبراهيم بن المظفر المعروف المعروف بابن البرني الموصلي (ت٦٢٢هـ/١٢٢٥م) يتحدث عن بعض خطط الموصل مثل مقبرة المعافى بن عمران التي تقع غرب الموصل ، وكذلك دار الحديث المهاجرية بالموصل التي أنشأها أبو القاسم علي بن مهاجر الموصلي ، في سكة ابي نجيح[٣] .

كما يتحدث عن الجوامع ، كالجامع الأموي في الموصل (الجامع العتيق) عند ترجمته للخطيب الطوسي (ت٦٠١هـ/١٢٠٤م)[٤] ، وعن جامع دمشق في أثناء ترجمته لإسماعيل بن حامد القوصي الأنصاري (ولد سنة ٥٧٥هـ/١١٧٩م)[٥] ، وعن جامع المنصور – الذي يقع في الجانب الغربي من مدينة بغداد – والذي يذكره في أثناء ترجمته للشيخ عبد الرحمن بن عيسى، أبي الفرج البزوري الواعظ (ت٦٠٤هـ/١٢٠٧م)[٦] ، ويتحدث كذلك عن الدروب مثل درب ثمل ودرب الخبازين

(١) نفسه ، م٢ج٣/٣٥٠ .
(٢) قلائد الجمان ، م١ج١/٤٠٨ .
(٣) نفسه ، م١ج١/٩٣ و م٥ج٦/١٩٦ .
(٤) نفسه ، م١ج١/١٦٣ .
(٥) نفسه ، م١ج١/٤٣٢ .
(٦) نفسه ، م٢ج٣/٣٠٧ .

الخبازين ودرب دينار ودرب المقبرة في بغداد[١] وهكذا ، كذلك يتحدث عن الربط في أثناء ترجماته للأعيان ، مثل رباط الصوفية في الموصل[٢] ، ورباط المناظرة في اربل[٣] ، ورباط المأمونية في بغداد[٤] وهكذا ، كما يتحدث عن الأسواق مثل سوق العجم وسوق العميد في بغداد[٥] ، وسوق البز في مدينة اربل[٦] .

كما يتحدث عن القلاع مثل قلعة اربل[٧] وقلعة تكريت[٨] وقلعة جعبر[٩] ، وقلعة حلب[١٠] حلب[١٠] وقلعة الرها[١١] وقلعة ماردين[١٢] وغيرها . ويتكلم عن المحلات مثل محلة بني شاطئ النهر في الموصل[١٣]ومحلة العتابيين في بغداد[١٤] ومحلة الطغرية في الجانب الشرقي من بغداد[١٥] وغيرها ، كما يتطرق الى المدارس في البلاد الإسلامية مثل المدرسة الاتابكية العتيقة في الموصل[١٦] والمدرسة الاسدية في حلب[١٧] والمدرسة البدرية في الموصل[١٨] والمدرسة التنشية في بغداد[١٩] والمدرسة العادلية في دمشق[٢٠] وغير ذلك كثير .

كما يتحدث عن الأنهار في المدن الإسلامية ، فيذكر العديد منها مثل نهر جعفر في واسط[١] ونهر مُرّة في البصرة[٢] وغيرهما .

---

(١) نفسه ، م٣ج٢٩٧/٤ ، ١٢٩ و م٧ج١٩٨/٩ و م٨ج٥٨/١٠ و م١ج١٩٥/١ .
(٢) نفسه ، م٢ج٣٣٢/٣ .
(٣) نفسه ، م٤ج١٩٣/٥ .
(٤) قلائد الجمان ، م٤ج١٩١/٥ .
(٥) نفسه ، م٣ج٢٦٢/٤ .
(٦) نفسه ، م٢ج١٢٣/٣ .
(٧) نفسه ، م٦ج١٩٧/٧ .
(٨) نفسه ، م٥ج٢٩٤/٦ .
(٩) نفسه ، م٧ج٩/٩ .
(١٠) نفسه ، م٤ج١٩/٥ .
(١١) نفسه ، م٨ج٣٠٠/١٠ .
(١٢) نفسه ، م٢ج٢٥٦/٣ .
(١٣) نفسه ، م٦ج١٢٧/٧ .
(١٤) نفسه ، م٢ج١٣٨/٣ .
(١٥) نفسه ، م٥ج١١٢/٦ .
(١٦) نفسه ، م٢ج٣٩٧/٣ .
(١٧) نفسه ، م٦ج١٧٠/٧ .
(١٨) نفسه ، م١ج١٣٧/١ .
(١٩) نفسه ، م٨ج٥٨/١٠ .
(٢٠) نفسه ، م٦ج١٥٥/٧ .

ولاشك ان تلك الخطط الأنفة الذكر وغيرها من التي ذكرها ابن الشعّار تمثل الفكر العمراني عنده الذي يمكن من خلاله رسم صورة واضحة لخطط المدن في المدة التي عاشها .

## الخلاصة :

مما سبق يتبين ما يلي :

- ان الفكر العمراني يشمل العمران السياسي والعمران الديني والعمران العلمي والعمران الاقتصادي وعمران المنشآت .
- ان ابن الشعّار حاول ان يعكس فكره العمراني من خلال ما طرحه في كتابه وفي ثنايا تراجمه .
- حاول ان يطرح عمران السياسة من خلال تسليط الضوء على الشخصيات السياسية التي عاصرها ذاكراً انجازاتها .
- طرح المدارس الفقهية الإسلامية التي كان لها دور كبير في خدمة المجتمع وتطوره .
- توسع كثيراً في الجانب العلمي والثقافي من خلال ما ذكره من أشعار وتخصصات ومصنفات ، فضلاً عن الرحلات العلمية والإجازات العلمية والعلاقات العلمية التي أغنت الحضارة الإسلامية .
- ذكر الكثير عن الجوانب الاقتصادية سواء المهن او الأسواق او التجارة والتي كان لها أهمية في استقرار المجتمع وتطوره .
- وأخيراً حاول ابن الشعّار ان يذكر الكثير من خطط المدن التي كان لها شأن في توسيع المدن الإسلامية وتطورها ، فذكر المساجد والمدارس والأنهار والمحلات وغيرها .

## مصادر البحث :


١. مقدمة ابن خلدون، مكتبة المثنى، (بغداد: د/ت).

٢. ينظر: الجابري، محمد عابد، العصبية والدولة ( فكر ابن خلدون)، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد: د/ت)، ص ١٦١.

٣. ابن الشعّار ، قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، (بيروت: ٢٠٠٥).

٤. تاريخ اربل، تحقيق: سامي ابن السيد خماس الصقار، المركز العربي للطباعة والنشر، (بيروت: ١٩٨٠)، ق١ / ٣٨٤ .


---

(١) نفسه ، م٢ج١١٤/٣ .

(٢) نفسه ، م٥ج١٧٦/٦ .

٥. السبعاوي ، حنان عبد الخالق ، المنهج التاريخي عند ابن الشعّار الموصلي (ت٦٥٤هـ) في كتابه (قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان ) ، أطروحة دكتوراه غير منشورة، (جامعة الموصل : ٢٠١٠).